

المناظرةُ والمجدلُ القرآني
دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال

إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم
أ.م.د. حميد جاسم عبود عباس الغرابي
كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

The debate and controversy of the Qur'an
A Quranic study of methods and methods of inference
Ibrahim Abdul Jalil Kharnoub Jassim
Asst.Prof.Dr. Hamid Jassim Aboud Abbas Al-Ghurabi
Email: ebraheemalburke@gmail.com

ملخص البحث

للقرآن الكريم أساليب وطرق في عرض الموضوعات التي يهدف إلى بيانها وتسليط الضوء عليها، ومنها موضوع المناظرة والجدل، فقد تناولها القرآن الكريم بشقين، الشق الممدوح والشق المذموم، وعرضها عن طريق أساليب مختلفة، منها ما كان معروفاً عند العرب في محاوراتهم ومجادلاتهم، ومنها ما اختص به القرآن الكريم وتميز به عن سائر كلام العرب ومحاوراتهم ومجادلاتهم، وقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على بعض الأساليب القرآنية في الجدل والحوار والمناظرة.

الكلمات المفتاحية: المناظرة ، الجدل ، أساليب .

Abstract

The Holy Qur'an has methods for presenting the topics that it aims to clarify and shed light on, including the subject of controversy. By the Holy Qur'an and distinguished by it from other Arabs' speech, debates and arguments. This study came to shed light on some Qur'anic methods of debate, dialogue and debate.

Keywords: Debate , controversy , methods.



المقدمة

يُعد الجدل حالة فطرية مرتكزة في أعماق النفس الإنسانية ليس للإنسان قدرة على تجاهلها أو إنكارها، نعم قد يحاول إنكارها، أو يتناساها، أو يغض الطرف عنها، لكن سلوكه هذا يبقى خلاف فطرته وطبعه الذي يدفعه للجدل والمخاصمة والمنازعة دفعًا، فتظهر عنده هذه النزعة، أو الفطرة رغبًا عنه، وقد أورد القرآن الكريم موضوع المناظرة والجدل عبر أساليب مختلفة تنوعت بين أساليب مألوفة وأخرى مبتكرة، وهذا البحث هو محاولة لتتبع بعض هذه الأساليب، وعرضها في بحثين، تناول الباحث في المبحث الأول دراسة المفاهيم العامة للجدل والمناظرة، بتعريفها وبيان موضوعهما، وذكر الغرض والفائدة من البحث في علم المناظرة والجدل، وجاء المبحث الثاني لدراسة بعض الأساليب والطرق القرآنية في الجدل والمناظرة.

المبحث الأول

دراسة المفاهيم العامة للمناظرة والجدل

المطلب الأول: تعريف المناظرة والجدل

من أهم الأغراض والفوائد للتعريفات هي تحديد المفردة، ووضع إطار خاص بها، يميّزها عن غيرها من المفردات والألفاظ المشابهة لها، أو التي توهم بأنها مشابهة، والتي من الممكن أن تتداخل معها في معنى من المعاني، الأمر الذي قد يسهم في خلق إشكالات معرفية، يمكن أن تتطور إلى خلاف فكري، فالمنازعات والمشاحنات في الكثير من المسائل العلمية يعود سبب الخلاف في بعضها إلى الإجمال في بيان مفاهيم ألفاظها المستعملة، عن غفلة أو عمد، فيحصل الاضطراب، وينقطع حبل التفاهم بين المتحاورين؛ لعدم وقوفهم على حدود المعاني للألفاظ المستعملة^(١)، ونحن على طريقة القوم نبدأ بتعريف المفردات الخاصة وذات العلاقة التي سترد بين طيّات هذا البحث فنقول:

(١) ينظر: المنطق: الشيخ. محمد رضا المظفر ت(١٣٨٣هـ)، الناشر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ط ١، ٨٦.

أولاً- تعريف المناظرة

المناظرة في اللغة:

وردت لفظة (المناظرة) في المعاجم وقواميس اللغة بعدة معاني أهمها:

أ- أن المناظرة قد تأتي بمعنى (النظر) فيتوجه للأجسام أو للمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني^(١)، وفي الاستعمال القرآني وردت لفظة (النظر) وأشارت لهذين المعنيين^(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

فالآية الكريمة تتحدث عن توجيه الفكر بالنظر إلى عظيم خلق الله سبحانه و تعالى، والنظر هنا وإن كان بالجراحة إلا أن المعنى يشير إلى النظر بتدبر وتفكير، يقول الشيخ الطوسي قدس: (أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأمر الخلق بالنظر؛ لأنه الطريق المؤدي إلى معرفة الله تعالى، والنظر المراد في الآية الفكر والاعتبار، قال الرماني: هو طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب إدراكه بالعين).^(٥)

ب- أو تأتي بمعنى (التقابل) فنقول: تناظرت الداران بمعنى تقابلتا، ونظر إليك الجبل: أي قابلك، ومن كلامنا: فإذا أخذت في طريق كذا فنظر إليك الجبل فخذ عن يمينه

(١) ينظر: لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبة بن منظور (ت ٧١١هـ)، باب النون- مادة نظر، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، الناشر، دار المعارف، القاهرة- مصر، (١٩٨٤م)، ٦ / ٤٤٦٧.

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ط ١، ٥ / ٣٥٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٧

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠١

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ٥ / ٤٣٧.



ج- أو تأتي بمعنى (المثل)، فنظير الشيء مماثله (وفلان نظيرك أي: مثلك) (٢)، نقول: ناظره صار نظيراً له، أو نقول فلان بفلان: جعله نظيره، أي مماثلاً له، ومنه قول الزهري: (لا تناظر بكتاب الله، ولا بكلام رسول الله ﷺ أي: لا تجعل شيئاً نظيراً لها، أو معناه لا تجعلها مثلاً لشيء...) (٣)، والنظائر: جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال (٤)، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((ولا تكوننَّ عليهم سبعا ضارياً تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق...)). (٥)

المنظرة في الاصطلاح:

يقول الشريف الجرجاني: (المنظرة هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين، إظهاراً للصواب) (٦)، وعرفها الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد بقوله: هي (تردد الكلام بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق) (٧)، أما إذا علم بفساد كلامه، وصحة كلام خصمه فنازعه

(١) لسان العرب، ٦ / ٤٤٦٧، باب النون- مادة نظر.

(٢) المصدر نفسه، ٦ / ٤٤٦٧، باب النون- مادة نظر.

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف، محمد نعيم العرقسوسي، الناشر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، ط (٨)، ٤٨٤.

(٤) المصدر السابق، باب النون- مادة نظر، ٦ / ٤٤٦٨.

(٥) نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، رقم (٢٩١)، شرحه، الشيخ. محمد عبده، خرّج مصادره، الشيخ. حسين الاعلمي، الناشر، شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م)، ط (٢)، ٥٧٢.

(٦) ينظر، معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، رقم (١٨٣٢)، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي، الناشر، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ١٩٥، القاهرة - مصر ورسالة الآداب في علم آداب البحث والمنظرة، عصام الدين أبي الخير أحمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاشكبري زادة (ت ٩٦٨هـ)، تحقيق، حاييف النبهان، الناشر، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الجهاء- الكويت، (١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م)، ط (١). (٢٠٠٤م)، ٢٦.

(٧) رسالة الآداب في علم آداب البحث والمنظرة، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر، دار المعارف الإسلامية، ١٩٩٨م، ط ٢، ٩.



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

فهي المكابرة، ومع عدم العلم بكلامه وكلام صاحبه فنازعه فهي المعاندة^(١).

وهذه التعريفات لا تخلو من إشكالات ونقاط ضعف يمكن مناقشتها عبر النقاط الآتية:

أ- بعض التعريفات حصرت المناظرة بشخصين، وهذا الحال وإن كان هو الغالب إلا أن المناظرات لا تتقيد بشخصين، فقد يناظر الشخص شخصين أمامه أو أكثر، كما حصل في مناظرة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية بن أبي سفيان، ومن كان عنده من المنكرين لفضل علي بن أبي طالب والإمام الحسن عليهما السلام.^(٢)

ب- لم تبيّن هذه التعريفات أهلية المناظر وصفاته ومميزاته، التي تخوله الخوض في مجال المناظرات والمجادلات، فالمناظرات ميدان لا يصلح دخوله لكل شخص، وإيراد الأدلة والبراهين على قيام رأي أو هدمه، وهذا أمر في غاية الأهمية، فالأئمة عليهم السلام لم يسمحوا لبعض أصحابهم بالخوض فيها، وبيّنوا إن السبب لمنعهم هو عدم تمكنهم وأهليتهم، وكانوا عليهم السلام إذا أرادوا أن يناظروا فإنهم يتصدون لذلك بأنفسهم، أو يقدموا بعض أصحابهم ممن يجدون فيهم الكفاءة والكفاية، كما حدث مع يونس بن يعقوب في مناظرة الرجل الشامي.^(٣)

(١) ينظر، إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق، أيمن عبد الرزاق الشوّا، الناشر، دار الفكر، دمشق - سوريا، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ط ١، ٣٢.

(٢) ينظر، الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس)، تحقيق، الشيخ إبراهيم البهادري والشيخ محمد هادي به، إشراف، الشيخ جعفر السبحاني، الناشر، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم - إيران، ١٤٣٥هـ، ط ٨، ٢ / ١٧ ٤٥.

(٣) روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ذكره، عن يونس بن يعقوب قال، كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال، إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك، فقال أبو عبد الله عليه السلام، كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك؟ فقال، من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عندي فقال أبو عبد الله، فأنت إذا شريك رسول الله؟ قال، لا، قال، فسمعت الوحي عن الله عز وجل يخبرك؟ قال، لا، قال، فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال، لا، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلي فقال، يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل ان يتكلم ثم قال، يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته، قال يونس، فيأله من حسرة... ثم قال لي، اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فادخله؟ قال، فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي



ج- ذكرت التعريفات إنَّ القصد من عقد المناظرات هو لإظهار الحق وبيان الصواب، وليس هذا القصد مطلوباً في كل المناظرات، فالكثير منها يدخل في باب الجدل، ومحاولة الظهور على الخصم، وهدم ما جاء به من أدلة، بصرف النظر عن صحتها وصدقها، وهذه التعريفات إنَّها تصدق إذا فرضنا أنَّ المناظرة غير الجدل، وهذا أمر غير محسوم؛ فالكثير من التعريفات تذهب إلى أنَّ الجدل من حيث المفهوم مرادف للمناظرة، كما سيتبين لنا عند تعريف الجدل، نعم يصح هذا القيد في التعريف إذا فرضنا أنَّ المناظرة غير الجدل.

ويبدو للباحث: إنَّ التعريف الأفضل والأشمل للمناظرة هو: (محاورة علمية بين طرفين متكافئين، تهدف إلى إثبات مدعى لدى طرف من الأطراف، مع تحطئة مدعى الطرف الآخر، عن طريق استعمال أدلة وبراهين عقلية وعقلية، معترف بحججيتها عند المتناظرين، أو عند الطرف المقابل).

وهنا أمور لا بد من بيانها:

أ- لا بدَّ للمناظرة من أخذ طريقة المحاوره: وهي دوران الكلام بين طرفين وهما (المعلل) و(المجيب)، لأنَّ الكلام إذا كان من طرف واحد فلا يسمى مناظرة، بل هو أشبه بالتعليم، والتفهم، وشرح ما استشكل، وبيان مرادٍ للمتكلم.

ب- الأسلوب العلمي: فالمناظرة المنتجة تُحدد بمنهج وخطوات متسلسلة علمية مرسومة بدقة ابتداءً من عرض النقطة الخلافية، وانتهاءً بحلها وإقناع الطرف المخالف أو سكوته، وسيأتي الحديث عنها بشكل مفصل في الفصل الثاني من الرسالة.

ج- أن يكون للمناظرة طرفان: إذ ليس بالضرورة أن يكونا شخصين، وقد بيَّنا ذلك.

أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين عليه السلام ... قال، فأخرج أبو عبد الله رأسه من فازته فإذا هو ببعير يخب فقال، هشام ورب الكعبة، قال، فظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة له، قال، فورد هشام بن الحكم وهو أول ما اختطت لحيته وليس فينا إلا من هو أكبر سناً منه، قال، فوسع له أبو عبد الله عليه السلام وقال، ناصرنا بقلبه ولسانه ويده... ينظر، أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨/٣٢٩هـ)، باب، الاضطرار الى الحجّة، رقم الحديث، ٤، ضبطه وصحّحه وعلّق عليه، محمد جعفر شمس الدين، الناشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ط٢، ١ / ٢٢٤ ٢٢٧.



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

د- كفاءة المناظر: وهو أمر في غاية الأهمية، لدرجة أن بعض العلماء ذهب إلى عدم جواز تصدي غير المجتهد؛ لأنه لا يسوغ له ترك مذهبه بمجرد عجزه وعدم ظهور حجته ودليله، وإذا كان الأمر كذلك فأى فائدة ترجى من مناظرته^(١) هذا من جانب.

ومن جانب آخر فإن قيد (الاجتهاد) يمنع غير المجتهدين من استسهال الدخول في المناظرات، فيكونوا طعمة سهلة لخصومهم، أو يكونوا فتنة لأتباعهم إذا هزموا.

هـ - أن تكون المناظرة متمحورة حول مدعى ونقيضه، بمعنى أن يكون أحد الطرفين مثبتاً والآخر نافياً، ليكون هذا الخلاف نقطة الانطلاق والمضي في المناظرة، ومع عدمه فلا معنى للخوض في مناظرة لا أساس لها.

و- الأصل في الأدلة والبراهين المستعملة في المناظرة أن تكون مقبولة عند الطرفين، أو عند الخصم عند الاحتجاج، فلا فائدة من عرض حجة ودليل لا يسلم به الطرف الآخر، كما لو ناظرت كتابياً على سبيل المثال، فالقرآن الكريم وإن كان حجة ودليل ثابت عندي، إلا أنه لا يصلح كدليل ملزم عنده؛ لعدم إقراره به واعترافه بحجتيه ودليليته.

ثانياً - تعريف الجدل:

الجدل والجدال في اللغة:

(هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت، أي: أحكمت قتله...، وجدلت البناء أحكمته، ودرع مجذولة، والأجدل: الصقر المحكم البنية، والمجدل: القصر المحكم البناء ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة)^(٢)، والجدل: (اللد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً، ورجل جدل ومجدل مجدال:

(١) ينظر، منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، الشيخ. زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)، الناشر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ط ١، ١٣٤. (٢) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط، محمد سيد كيلاني، الناشر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ٨٩، ٩٠.



• المصباح إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم / أ.م.د. حميد جاسم عبود عباس الغرابي

شديد الجدل، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته، ورجل جدلٌ إذا كان أقوى في الخصام، وجادله: أي خاصمه مجادلةً وجدالاً، والاسم الجدَل: وهو شدة الخصومة^(١).

الجدل في الاصطلاح:

عُرِّفَ الجدل بتعريفات كثيرة نكاد لا نحصيها إذا ما أردنا تتبعها؛ لأنَّ الجدل يدخل في كل العلوم تقريباً، ولا توجد فكرة أو رأي إلا وكان الجدل حاضرًا، وله وقعه وتأثيره بين المتحاورين، ولأنَّ علم الجدل يوناني الأصل فقد عدّه فلاسفة اليونان صناعة مقابلة لصناعة البرهان، فهم يفرقون بين البرهان والجدل، يقول الفيلسوف أرسطو: (البرهان هو القياس الذي يكون من مقدمات صادقة أولية، أو من مقدمات يكون مبدأ المعرفة بها قد حصل من مقدمات ما أولية صادقة)^(٢)، فالبرهان بحسب أرسطو لا بد وأن يتألف من مقدمتين: كبرى وصغرى ثبَّت في مرحلة سابقة صدقهما ليتشكل منها قياس منطقي منتج للحقيقة، بينما القياس الجدلي عنده ليس كذلك فهو: (الذي ينتج من مقدمات ذائعة)^(٣)، بمعنى إنَّ مقدمات الجدل غير مقدمات البرهان، فالجدل مبني على مقدمات مشهورة أو مسلّمة، يقول الشيخ المظفر رحمته في تعريفه للجدل: (إنَّه صناعة علمية يقتدر معها - حسب الإمكان - على إقامة الحجّة من المقدمات المسلّمة على أيّ مطلوب يراد، وعلى محافظة أيّ وضع يتفق، على وجه لا تتوجه عليه مناقضة)^(٤)، والمقصود بالمقدمات المسلّمة: هي المقدمات التي وقع التسالم عليها بين الطرفين، وحقها بصدقها، بغض النظر عمّا إذا كانت صادقة حقًا أو كاذبة أو حتّى مشكوكة^(٥).

(١) لسان العرب، ص (٥٧١)، باب الجيم - مادة جدل.

(٢) سلسلة علم المنطق (النص الكامل لمنطق أرسطو)، (٢ / ٦٣٥)، تحقيق وتقديم، فريد جبر، مراجعة، د. جبرار جهامي و د. رفيق العجم، الناشر، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -

لبنان، (١٩٩٩م)، ط ١، ٢ / ٦٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ٢ / ٦٣٥.

(٤) المنطق، ٣١٩.

(٥) ينظر، المصدر نفسه، ٢٩٠.



المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

بينما يرى أثير الدين الأبهري^(١) أن مقدمات الجدل هي مقدمات مشهورة، إذ يعرف الجدل بأنه: (قياس مؤلف من مقدمات مشهورة)^(٢)، والقضايا أو المقدمات المشهورة: هي القضايا التي لا حظ لها من التصديق، إلا أنها ذاعت بين الناس واشتهرت، وتم الاعتراف بها، لذا تسمى أيضاً بـ(الذائعات)، كحسن العدل وقبح الظلم، ووجوب الدفاع عن الحرمات، وذم التعرض لمخلوق عبثاً، ومواساة الفقراء والمحتاجين، فالملاك فيها إما أن يكون مصلحة عامة، أو حميية، أو عادة، أو غيرها من الأغراض والأسباب التي تدعو أي مجتمع للتصديق بقضية ما، وإن لم تكن صادقة في ذاتها^(٣).

أما باقي تعريفات الجدل فهي -على الأغلب- تعريفات ببيان الغرض الذي يتوخاه المجادل، وهذه بعضها:

أ- تعريف الشريف الجرجاني: (هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة)^(٤).

ب- تعريف إخوان الصفا^(٥): (واعلم أن الجدل هو أيضاً صناعة من الصنائع، ولكن

(١) أثير الدين الأبهري (ت ٦٦٣هـ)، هو المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري السمرقندي، أثير الدين، منطقي، له اشتغال بالحكمة والطبيعات والفلك، من كتبه (هداية الحكمة) مع بعض شروحه، و(الإيساغوجي) و(مختصر في علم الهيئة) و(رسالة في الإسطرلاب) وغيرها من الكتب. ينظر، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، الناشر، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، (٢٠٠٢م)، ط ١٥، ٧ / ٢٧٩.

(٢) مغني الطلاب (شرح متن إيساغوجي)، أثير الدين الأبهري (ت ٦٦٣هـ)، تحقيق، محمود محمد توفيق رمضان البوطي، الناشر، دار الفكر، دمشق - سوريا، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ط ١، ٩٣.

(٣) ينظر، المصدر نفسه، ٩٣. والمنطق، ٢٧٩.

(٤) معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، رقم (٦١٤)، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي، الناشر، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة - مصر، ٢٠٠٤م،

٦٧.

(٥) إخوان الصفا وخلان الوفا، هي جماعة سرّية يلفها الغموض، ظهرت في مدينة البصرة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، تركت ميراثاً معرفياً مهماً تمثل في اثنتين وخمسين رسالة عرفت باسم (رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا)، وكان هدف دعوتهم تأسيس منهج فكري يتسامى على الروح المذهبية والطائفية، فمذهبهم إسلامي ذو طابع عالمي، يستوعب كل المذاهب والأفكار، لا يُعرف الكثير عن أفراد هذه الجماعة أو تنظيمها أو عدد أعضائها، على الرغم من أن فترة ظهورهم هي خلال حكم الأسرة البويهية، وهذه الحقبة الزمنية موثقة بشكل تام. ينظر، طريق إخوان الصفا



الغرض منها ليس هو إلا غلبة الخصم والظفر به كيف كان، ولذلك يقال: الجدل قتل الخصم عما هو عليه، إما بحجة أو شبهة أو شعبة، وهو الثقافة في الحرب، والحرب - كما قيل - خدعة، وهو يشبه الحرب والمعركة؛ إذ الحرب خدعة^(١).

ج- تعريف الخوارزمي: (تقرير الخصم على ما يدعيه من حيث أقر، حقاً كان أو باطلاً، أو من حيث لا يقدر الخصم أن يعانده لاشتهار مذهبه ورأيه فيه).^(٢)

وخلاصة ما يُستفاد من تعريفات الجدل هي:

أ- إنَّ الجدل يعتمد على مقدمات مشهورة أو مسلم بها، سواء أكان هذا التسليم عند العامة، أو فئة معينة، أو كان التسليم عند المجادل نفسه، فهو لا يطمح إلى البحث عن مقدمات تنتج له حقيقة؛ لأنَّها ليست غرضه، وإنَّما غرضه إفحام الخصم وإسكاته بمقدمات مسلمة، يقول أبو حيان التوحيدي: (سمعت الشيخ أبا حامد^(٣) يقول لظاهر العبَّاداني: لا تعلق كثيراً مما تسمع مني في مجالس الجدل، فإنَّ الكلام يجري فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته، فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً، ولو أردنا ذلك لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا في الكلام...)^(٤)

(المدخل = = لدراسة الغنوصية الإسلامية)، فراس السَّواح، الناشر، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق - سوريا، ٢٠٠٨م، ط ١، ١٥.

(١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، إخوان الصفا، الرسالة الثامنة من النفسانيات العقلية وهي الرسالة التاسعة والثلاثون من رسائل إخوان الصفا، ٣ / ٤٣٨.

(٢) مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق، محمد كمال الدين الأدهمي، الناشر، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠م، ١٠٢.

(٣) هو أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني شيخ الشافعية ببغداد، المولود سنة (٣٤٤هـ)، قدم بغداد وله من العمر (٢٠) سنة، فتفقه على أبي الحسن بن المرزبان، وأبي القاسم الدَّاركي، وبرع في المذهب وأرْبَى على المتقدمين وعظم جاهه عند الملوك. ينظر، سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، رقم الترجمة (١١١)، تحقيق وتخرُّيج وتعليق، شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الناشر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط ١، ١٧ / ١٩٣، ١٩٤.

(٤) تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق وضبط وتعليق، د. بشار عواد معروف، الناشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ط ١، ٩ / ١٠٢. وتأريخ التشريع الإسلامي، الشيخ.



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

ب- صورة الجدل هو إيراد الحجج بين طرفين، فالجدال حتى يكون جدالاً لأبد فيه من نقطة خلاف بين طرفين، يقع بينهما جدل ينصب على هذه النقطة بعينها، والجدل يلتقي مع المناظرة في هذه النقطة.

ج- لما كانت مقدمات الجدل من المسلّمات أو المشهورات، فإنّ نتيجته ليست بالضرورة أن تكون واحدة وعند أحد الأطراف، بمعنى أن كلّ واحد من طرفي المجادلة يمكنه أن يقيم قياساً جدلياً على مدّعا، ويستطيع إيراد حجج تؤيد ما يذهب إليه، وهذا ما لا نجده في القياس البرهاني؛ لأنّه لا يكون إلا واحداً.

د- إنّ صورة القياس الجدلي أعمّ من القياس البرهاني؛ لأنّ المجادل لما كان غرضه معارضة خصمه على سبيل المنازعة والمغالبة، فهو يبحث عن كل ما يوصله إلى تحقيق هذا الغرض، سواء أكان ذلك بالبرهان أم بالتمثيل أم بالاستقراء، بخلاف من يبحث عن الحقيقة والصحة ويحاول البرهنة عليها، فهو لا يملك إلا القياس البرهاني^(١).

المطلب الثاني

موضوع المناظرة والجدل

من المسائل التي بُحثت في علم الأصول مسألة (موضوع العلم)، وهل لا بد لكل علم من موضوع خاص يكون عنواناً يجمع تحته كل مسائل ذلك العلم ويبحث عن عوارضه الذاتية؟ أو لا.^(٢)

وتماشياً مع الرأي القائل بوجود موضوع لكل علم نقول:

محمد الخضري، تعليق وتخرّيج، محمد حسين عبد الرحمن، مراجعة وتقديم، الدكتور أيمن فؤاد سيد، الناشر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة- مصر، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ط ١، ٢٦٢.

(١) ينظر، المنطق، ٣١٨-٣١٩.

(٢) ينظر، نهاية الأفكار (تقرير أبحاث الشيخ آغا ضياء الدين العراقي)، الشيخ. محمد تقي البروجردي النجفي، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي ((الناطقة لجماعة المدرسين))، قم- إيران، (١٤٣٨هـ)، ط ٧، ١ / ١٠، ١١. وكفاية الأصول، الشيخ. محمد كاظم الخراساني، تحقيق ونشر، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، بيروت- لبنان، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ط ٤، ٧، ٨.



• المصنَّب إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم / أ.م.د. حميد جاسم عبود عباس الغراي

إنَّ موضوع المناظرة والجدل: هي الأبحاث الكليَّة^(١)، التي تقع بين المتناظرين، على نحو الاعتراض والجواب، من جهة كونها مقبولة ومقابلة لكلام الطرف الآخر (الخصم)، على الوجه الذي يدفعه أو لا، أي: غير مقبولة ولا تقابل كلام الخصم ولا تدفعه^(٢).

المطلب الثالث

الغرض من البحث في المناظرة والجدل

عند البحث والكتابة في أي موضوع لا بد وأن يكون للباحث غرض يطلبه ويريد الوصول إليه؛ ليكون عمله ذا نفع وجدوى، فالعمل غير المقترن بهدف، أو غرض يُدخل صاحبه في دائرة العبث وعدم القصدية.

ولذا فإنَّ الغرض من الدخول في المناظرات والمجادلات والبحث في مسائلها ينقسم إلى:

أولاً- أغراض صحيحة:

ونأخذها من جهتين:

الأولى: لما كانت ولاية المؤمنين بعضهم على بعض تلزمهم بالعناية بشؤون المجتمع الإسلامي والحرص على سلامته، فإنَّ المناظر والمجادل ملزم بالمحافظة على سلامة المجتمع، وتحصينه فكرياً من الشبهات والتدليس والخرافات، فيشير إلى مزال أقدام الخصوم في مطالبهم واعتقاداتهم، منبهاً إلى مغالطاتهم ومشابغاتهم، مع الحذر من مجارة الخصوم في أسلوبهم، وكيلهم من نفس مكياهم، وسقيهم من نفس كأسهم، فذلك ليس من دأب العلماء والمحصلين، ولا هو من شيم الفضلاء والموقرين، لذا يجب أخذ الحيلة والحذر فالجرب يعدي، والكلام يجير الكلام^(٣).

(١) كالمنع والنقض والمعارضة وغيرها من كليات هذا العلم.

(٢) ينظر، فن آداب البحث والمناظرة، ١٣. وآداب البحث والمناظرة، الشيخ. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق، سعود بن عبد العزيز العريفي، إشراف، بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٠٠.

(٣) ينظر، مصارع المصارع، لأبي جعفر نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق،



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال..... المصباح

وهو بفعله هذا يطمح إلى تحقيق مرضاة الله سبحانه وتعالى، وطلباً للأجر والثواب، وتأسياً بالأنبياء ﷺ، الذين أجهدوا أنفسهم وحاربوا الضلال والانحراف، لتحقيق هذا الغرض.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(٢)، وهذا الغرض هو غرض أخروي.

الثانية: إظهار الحق والصواب، ودحض الباطل والضلال، فأما إظهار الحق وبيان الصواب فيتحقق عن طريق دعمها بالدليل الراجح والحجة والبرهان، وهي فعل رسول الله ﷺ مع خصومه ومناظريه، فـ((عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: قلت لأبي علي بن محمد عليه السلام: هل كان رسول الله ﷺ يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه، ويحاجهم إذا حاجوهم؟ قال: بلى، مراراً كثيرة...)).^(٣)

وأما دحض الباطل وهدمه فيكون بإبطال ما جاءوا به من شبه وتدليس وافتراءات، وفضحهم وكشف زيف ما يستدلون به؛ حتى لا يكونوا سبباً في إضلال الناس وانحرافهم، وهذا غرض دنيوي.

ثانياً: أغراض باطلة:

ونأخذها من جهتين:

الأولى: أن يهدف المناظر إلى محاولة إبطال الحق والعمل على كسره، بالتضليل والتشويش والمشاغبة، وتشكيك الناس بالمصلحين وأغراضهم النبيلة، والسعي لإسقاط قدرهم بين الناس، وهذا أسلوب تم أتباعه من قبل الظالمين، عند محاربتهم للأنبياء ودعوتهم، فاتهمهم ﷺ بالضلالة والجنون وأتهم مسحورون...، ولم يسلم نبي ولا مصلح من هذه

ويلفرد مادلونج، الناشر، مؤسسة مطالعات إسلامي، طهران- إيران، ١٣٨٣ هـ، ٢.

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

(٣) الاحتجاج، ١ / ٤٧.



الانتهاكات.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنُونَ﴾^(١)،
وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُوا﴾^(٢)، وقوله
تعالى: ﴿أَلْقَى الذُّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلٌ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾^(٣).

ويبدو إنَّ هذا الأسلوب في التهوين والتكذيب عند الجدل والخصومة لا تختص به
أمة دون أخرى، ولا قوم دون آخرين، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم، والآيات الشريفة
بيّنت هذا السلوك بنحو الاستفهام والتعجب والتوبيخ، وكأنتهم تواطأوا على الكفر وعدم
التسليم، ثم يأتي الجواب من قبل الله عز وجل بأنهم لم يتواصوا ولم يتواطؤوا، ولكن قلوبهم
بالكفر والجحد قد تشابهت، وأصل الكفر في نفوسهم واحد.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٤).

الثانية- أن يلجأ الإنسان إلى المناظرة والجدل وتعلم فنونها؛ طلباً لحطام الدنيا من المال
والجاه والعلو والتقرب إلى ذوي النفوذ والسلطة، وطمعاً فيما عندهم، وقد ذكر القرآن
الكريم لهذا الصنف من الناس أنموذجاً، وهم سحرة فرعون، الذين استعان بهم ليهزم
موسى ﷺ، فكان شرطهم الوحيد للدخول في معركة الحق والباطل أن يكون لهم أجرٌ
وقربان عند الحاكم. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ
الْغَالِبِينَ﴾^(٥) قال نعم وإنكم لمن المقربين.

ولا غرابة في ذلك فتاريخ البشرية عامّة، والإسلام خاصّة، يحفظ في ذاكرته مكاناً
لمثل هؤلاء المتملقين والمتزلفين للسلطان، طمعاً بهباته وجوائزه، ولو على حساب الدين

(١) سورة الذاريات، الآية : ٥٢

(٢) سورة القمر، الآية : ٩ .

(٣) سورة القمر، الآية : ٢٥ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ١١٨ .

(٥) سورة الأعراف، الآيات : ١١٣ - ١١٤ .



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

والضمير والمروءة، وإليك هذا المثال المخزي والمؤلم من تأريخ الإسلام، إذ يروى أن معاوية بن أبي سفيان أعطى سمرة بن جندب (أربعمائة ألف درهم)، ليخطب في أهل الشام، ويزور الحقائق عليهم، ويشهد بأن قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۗ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقَ ۗ ﴾^(١)، نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأن قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۗ ﴾^(٢)، نزلت في عبد الرحمن بن ملجم المرادي، أشقى الأشقياء!^(٣).

وعود على بدء، فإن من الضروري لمن أراد أن يقتحم غمار المناظرات والمجادلات وكسب فنونها وأساليبها بالتعلم، أن يجدد غرضه منها؛ لأن تحديد الغرض له أثر مهم في النتائج التي يريد تحقيقها، فالوصول إلى الحق لا يدركه إلا من كان غرضه نبيلًا وصحيحًا، سواء أكان ظهوره على يديه أو يدي خصمه، ومن كان هذا غرضه فإصابة الحق وظهوره سيكون حليفه لا محالة، والله سبحانه وتعالى يوفق من كانت مقاصده لله عز وجل وفي سبيله.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۗ ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيَهُمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۗ ﴾^(٥).



(١) سورة البقرة، الآيات : ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٠٧.

(٣) ينظر، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ. عبد الحسين أحمد الأمين النجفي، الناشر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ط ١، ١١ / ٤٨، ٤٩.

(٤) سورة العنكبوت، الآية : ٦٩.

(٥) سورة يونس، الآية : ٩.

المطلب الرابع

فوائد البحث في المناظرة والجدل :

كل فعل يروم الإنسان تحقيقه لا بد أن يقصد من ورائه تحقيق مصلحة وفائدة، أو أن يكون ذلك الفعل مضراً به، أو لا فائدة ترجى من إتيانه فيتجنبه، وللمناظرات والجدل فوائد كبيرة وكثيرة تتعلق بنفس المناظرة والمتناظرين، نذكر بعضاً منها:

أولاً : إظهار الحق وأهله ودحض الباطل وأهله: فالمناظرات والمجادلات مبنية على عرض الآراء على طاولة المناقشة والبحث، وإيراد الأدلة ومعارضة الأقوال، وصولاً إلى تبني القول الموافق للصواب، وإثبات سنن العدل، وإبطال طرق الباطل وكشف الضلال، وهذه هي أهم فوائد البحث في المناظرة والجدل، قال رسول الله ﷺ: ((... وأكثر مدارس العلماء ومناظرة الحكماء في تثبيت سنن العدل على مواضعها، وإقامتها على ما صلح به الناس، فإن ذلك يجبي الحق ويميت الباطل، ويكتفي به دليلاً على ما يصلح به الناس...))^(١)

ثانياً : تقوية ملكة المناظرة وتنشيط الذهن وشحذه وتدريبه على صياغة الأدلة والحجج وإيرادها بكل تفوق وتمكّن: فالعقل يخمل بالرتابة في طلب العلم، وتخبو جذوته في النفوس ما لم يكن هنالك ما يحفزه ويستفزّه ويسترعي انتباهه، وهذا غرض تحفقه المناظرات والمجادلات^(٢)، يقول ابن عقيل الحنبلي: (فالجدل يشحذ ويرهف ويثير الخواطر ويخرج الدقائق، وكل ذلك آلة لإدراك العقل للحق...)^(٣)

(١) مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، باب، ما ينبغي للوالي العمل به في نفسه ومع أصحابه ومع رعيته - رقم الحديث (١٥٠١٨)، تحقيق، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الناشر، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ط ٣، ١٣ / ١٤٨ .

(٢) ينظر، الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١هـ)، تعليق، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الناشر، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ط ١، ٤ / ٢٣٢ .

(٣) ينظر، الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي (ت ٥١٣هـ)، تحقيق، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ط ١، ١ / ٥٢١ .



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

ثالثاً: في المناظرة إظهاراً للعلم وأهله وتمييزاً لذوي الفضل فيه: فالمناظرات ميدان رحبٌ لتمييز العلماء، وساحة لإبراز علمهم وسعة اطلاعهم، خاصة في أيامنا هذه التي كثر فيها مدعو العلم وهم ليسوا من أهله، والمكلف محتاج لمعرفة العالم، بل الأعلم؛ كونه مقلدٌ يرجع في عمله وتكليفاته الشرعية إلى الأعلم، والمناظرات ومجالس الجدل العلمي طريق جيدٌ من طرق معرفة الفقيه الأعلم، يقول أحد الحكماء: (القلب ميّت وحياته بالعلم، والعلم ميّت وحياته الطلب، والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة، ومحتجب بعد المدارسة وإظهاره بالمناظرة، وإذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل، فإذا زوّج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكاً أبدياً لا آخر له).^(١)

رابعاً: مذاكرة العلم وتصحيحه وتثبيته: فالمناظرات والمجادلات العلمية طريقة مفيدة لتصحيح الآراء الفاسدة والمنحرفة، وتثبيت العلم النافع في النفس، فالعلم يحصل للمتعلم بعدة طرق، منها الكسب عن معلّم، أو الدرس والتكرار، أو المذاكرة والمناظرة بشرط أن تكون مع منصف وطالب حق، وليس لمجرد المنازعة والغلبة وإظهار الفضل بغزارة العلم وقوة الحجاج، يقول أحد العلماء: (وفائدة المطارحة والمناظرة إذا كان من الإنصاف أقوى من فائدة مجرد التكرار، وقيل: مطارحة ساعة خيرٌ من تكرار شهر، ولكن مع منصفٍ سليم الطبيعة، وإيّاك والمذاكرة مع متعنّت غير مستقيم الطبع، فإنّ الطبيعة متسرّقة، والأخلاق متعدية، والمجاورة مؤثرة).^(٢)

خامساً: هداية المؤمنين وإرشادهم والأخذ بيدهم ودفع الشبه عنهم؛ لأنّ المتناظرين في المجادلات العلمية إن كانت مقاصدهم سليمة يسعيان إلى تصحيح خطأ ما يعتقد به

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ)، الناشر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ط ١، ٢ / ٢١٠. ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهر بطاش كبري زادة (ت ٩٦٨هـ)، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ط ١، ١ / ١١.

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهر بطاش كبري زادة (ت ٩٦٨هـ)، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ط ١، ١ / ٣٥.



الطرف الآخر، وهدايتة، فالمنظر أخذُ بيد مناظره، ساعٍ إلى نجاته وإخراجه من وهمه والتهيه الذي هو فيه، والمناظرة بهذا التصور واجبة على المؤمن، وجوباً تفرضه عليه أخوته لأخيه المسلم، فهو مرآته التي تعكس له خطأً وزيفاً ما يذهب إليه، وهو جزء من حقِّ المؤمن على أخيه المؤمن، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام في بيان حقِّ المؤمن: ((له سبع حقوق واجبات ... والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته ...))^(١).

سادساً: الإحاطة والمعرفة بمسائل الخلاف، فعن طريق المناظرة والجدل يتمكن طالب العلم من الإحاطة بكافة الآراء الخلافية بين المذاهب الإسلامية، ويستطيع تمييز الأدلة، ومراتبها، وما يصح الاستدلال به وما لا يصح، وتنمية القدرة على معارضة الآراء الضعيفة، وكشف مواطن الخلل فيها.

المبحث الثاني

المناظرة والجدل القرآني

المطلب الأول

فطرية الجدل وبداية تكوُّن الآراء والأفكار

حبا لله سبحانه و تعالى الإنسان بنعمة العقل والتفكير، ولكونه مفكراً متكلِّماً فهو محتاج إلى الإعراب عما يجول في ذهنه من أفكار وتساؤلات، وفي الوقت نفسه أن يعرف مراد الآخرين من بني نوعه، وطريقة تفكيرهم^(٢)، وهذا الأمر لم يبذل الإنسان فيه جهداً كبيراً، فالباري تعالى تكفل بإعداد الإنسان وتهيئته للإفصاح عما بداخله وتلقي ما يبديه

(١) أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨/٣٢٩هـ)، باب، حقُّ المؤمن على أخيه وأداء حقه - حديث رقم (٢)، ضبطه وصحَّحه وعلَّق عليه، محمد جعفر شمس الدين، الناشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ط ٢، ١٧٦.

(٢) ينظر، مقدمة التحقيق لكتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم، ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (ت ٦٣٤هـ)، تحقيق، د. زاهر بن عواض الألمعي، (١٤٠١هـ)، ط ٢، ١٠، ١١. ومنهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن، (١/٥١)، الناشر، دار أشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ط ١، ٥١ / ١.



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

الآخرون من مفاهيم ومعاني^(١).

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۙ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۖ﴾^(٢).

ولا يتم له هذا البيان إلا بترجمان فؤاده وهو اللسان، فأخذ الإنسان يتفاعل مع محيطه الإنساني، يتأثر به ويؤثر فيه، سلباً وإيجاباً، وقد أدّى هذا التفاعل الفكري إلى الدخول في حالة من الصراع والجدال ومحاولة إثبات وجهات النظر، فتظهر عنده نزعة الجدل، والمناقشة، والمحااجة، ومحاولة الإثبات، والبرهنة، والمعارضة... الخ، وهذه الحالة قهرية عند الإنسان، قد يدفع إليها دفعاً، ولا يمكنه السيطرة عليها أو منع نفسه عنها، نعم قد يمنع نفسه عن الخوض في المجادلات والمناظرات في بعض الظروف والحالات، إذا أراد تكثف هذا الأمر، لكنه يبقى خلافاً لطبعه الذي يجره جراً لاقتحام هذا الميدان^(٣)، بل أكثر من ذلك، فإن القرآن الكريم يصوّر لنا أنّ الإنسان مجادل حتى في المحشر ويوم العرض^(٤).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَادِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۖ﴾^(٥).

ونجد كذلك أنّ صفة الجدل غير منحصرة فيه، بل هي صفة ملازمة لكل من يعقل، كالملائكة والجن، والقرآن الكريم نقل لنا بعض مجادلاتهم، منها جدل الملائكة في موضوع الاستخلاف لآدم عليه السلام.

(١) ينظر، الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٩٨١م)، الناشر، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران ١٩ / ٩٥.

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.

(٣) ينظر، استخراج الجدال من القرآن الكريم، ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (ت ٦٣٤هـ)، تحقيق، د. زاهر بن عوّاض الألمي، ١٤٠١هـ، ط ٢، ١٠، ١١. وعلمنا المنطق وآداب البحث والمناظرة، سيد علي حيدرة، الناشر، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ٢٠٠٧م، ط ١، ١٧. ومنهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن، الناشر، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ط ١، ١ / ٥١، ٥٢. ومناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عوّاض الألمي، (١٤٠٤هـ)، ط ٣، ٣١.

(٤) ينظر، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ٣١.

(٥) سورة النحل، الآية: ١١١.



قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣١﴾.

ومنها جدل إبليس عندما رفض الامتثال لأمر الله سبحانه و تعالى .

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُورًا وَمَا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾ (٣).

ولا يكون الجدل إلا مع الاختلاف، والاختلاف سُنَّةٌ إلهية، وقانون أرضي سنه الله سبحانه و تعالى ليكون مشيئةً تلازم الإنسان طيلة حياته.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿٤﴾.

وعليه فالجدل قديم قديم الإنسان، ولعلنا نعجز عن تحديد زمن دقيق لبدايات الجدل

(١) سورة البقرة، الآيات : ٣٠-٣٣.

(٢) سورة الأعراف، الآيات : ١١-١٨ .

(٣) ينظر، مقدمة التحقيق لكتاب شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله الشهرير بسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣هـ)، تحقيق، د. عبد الرحمن عميرة، الناشر، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، ط ٢، ١ / ٥١، ٥٢. ومنهج الجدل في تقرير مسائل الاعتقاد، ٥٢ / ١.

(٤) سورة هود، الآية : ١١٨.



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

الأولى، ولكن يمكننا القول إنَّ التوسع المدني والحضري والعمراني، وتعدُّد الحياة وتشابكها، جعل الناس أكثر قربًا، وأعطى فرصة أكبر للاختلاط والاحتكاك، وتلاقح الأفكار والرؤى، وهذا الأمر ساعد على تكوين اتجاهات مختلفة تلتقي مع بعضها أحيانًا وتختلف في أحيان أخرى، فتوسَّعت الفجوات الفكرية بين الناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وبلدانهم وأوطانهم، وساعدت المدنية والحضارة على تهيئة بيئة مناسبة للاختلاف، وللخلاف فيما بعد^(١)، وتكوين منهج عقلائي للاختلاف يتبع الأسلوب الترتيبي في عرض المسألة والمناقشة فيها ليكون الحوار حوارًا علميًا هادفًا.

المطلب الثاني

المناظرة والجدل القرآني

بعث الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم محمدًا ﷺ إلى الناس كافة، ليدعوهم إلى عبادة تعالى ولا يشركوا معه أحدًا من خلقه، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

كما كانت دعوة إخوته من الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكدِّين ﴾^(٣).

ولأن الجزيرة العربية كانت زاخرة بمختلف الاتجاهات العقديّة والدينيّة، ودعوتهم إلى التغيير لم تكن بالأمر الهين والسهل، فإنَّ رسول الله ﷺ واجه هذه التيارات كلّها والانحرافات الفكرية والعقدية، ووقوع الجدل المناظرة كان أمرًا لا بدَّ منه، وتمثل الجدل القرآني باتجاهين:

الاتجاه الأول: المناظرات والمجادلات التي جاءت في القرآن الكريم على شكل

(١) ينظر، تأريخ الجدل، الشيخ. محمد أبو زهرة (ت ١٩٧٤م)، الناشر، دار الفكر العربي، ط ١، ص ٧.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.



• المصباح..... إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم / أ.م.د. حميد جاسم عبود عباس الغراي

محاورات ومناظرات مستوعبة لبعض أساليب الجدل والبرهان بين الأنبياء ﷺ ومناوئهم، كما في مناظرة إبراهيم ﷺ للنمرود - طاغية عصره - قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١).

أو الحجج والأدلة التي ساقها القرآن الكريم والتي لم تأخذ شكل المناظرة المألوف، بل سيقت ضمن الآيات التي تكفلت بإثارة العقل الإنساني وتحريكه باتجاه هدم الفكر الانحرافي وتثبيت عقيدة الإيمان بالله، قال تعالى:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴾^(٢) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٤) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٥) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٦).

الاتجاه الثاني: المناظرات والمجادلات التي خاضها رسول الله ﷺ بنفسه مع مختلف الطوائف والملل، والتي تناولت إشكالات عقدية وتشريعية، من قبيل بشرية النبي ﷺ، أو مسألة تحويل القبلة، أو النسخ، وغيرها من الموضوعات، فتنوعت مناظراته ﷺ للخصوم بين:

أ- ملحد لا يؤمن بوجود خالق للموجودات ويرى إنَّ الدهر له الحاكمة في الإفناء، كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨ .

(٢) سورة النمل، الآيات: ٦٠ - ٦٤ .



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال **المصباح**

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (١).

ب- أو مشرك يجعل مع الله سبحانه وتعالى إلهاً آخر، يصفه بما يصف الله سبحانه وتعالى، ويجعل له ما لله تعالى من قابلية الخلق والتدبير، فأجابهم رسول الله ﷺ بما علمه ربه سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (٢).

أي: لو كان معه ما تزعمون من آلهة، لطلبتن طريقاً يقربكن إلى مالك هذا العرش، والتمستم الزلفة عنده لعلوه وعظمته، أو - في تفسير آخر للآية الشريفة- لتصارعوا وتنافسوا وتنازعوا على الملك والسيادة (٣)

ج- أو من أهل الكتاب الذين حرّفوا دينهم وكتبهم، ونسبوا إلى الله سبحانه وتعالى ما لا يليق، كقوله تعالى على لسان اليهود والنصارى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَالنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٤)، ورفضوا الإيمان والصديق برسالته ﷺ حسداً له، وبغضاً بالقرآن الكريم.

الناس ومستوياتهم في الإدراك:

أصل الإيمان بالخالق تبارك وتعالى فطري عند الإنسان، ولكن معرفة ذلك الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله وطريق الوصول إليه ليس كذلك، وهنا تكمن أهمية الرسالة

(١) سورة الحاثية، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٤٢ .

(٣) ينظر، التبيان في تفسير القرآن، الشيخ. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق، أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان ٦ / ٤٨١ . ومجمع البيان== في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، الناشر، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، ط ١، ٦ / ١٩٣ .

(٤) سورة التوبة، الآية : ٣٠ .



• **التصنيف** إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم / أ.م.د. حميد جاسم عبود عباس الغرابي

وإرسال الرسل، فهم السبيل الوحيد للمعرفة بهذا الخالق العظيم، وأسماءه وصفاته وأفعاله. ولما كانت عقول الناس وإدراكاتهم متفاوتة، فإن أساليب الدعوة كانت متفاوتة كذلك، فالأنبياء ﷺ سلكوا طرقاً متعددة لإقناع الناس ومحاولة هدايتهم وإرشادهم؛ لأن ما يصلح كدليل عند البعض قد لا يكون كذلك عند البعض الآخر، وما يكون طريقاً مختصراً نافعاً عند البعض، ليس بالضرورة أن يكون كذلك بالنسبة للبعض الآخر؛ فقد يحتاج بعض الناس إلى دليل أكثر تفصيلاً وأكثر إقناعاً، ولفهم مستويات الإدراك عند الناس، ومعرفة ما يصلح لهم من الأدلة كلٌ بحسب معرفته، يمكننا أن نصنفهم إلى فئات ثلاث:

أ- فئة تتخذ من دليل القياس والبرهان طريقاً للتصديق والاعتقاد، ولا تقبل من الأدلة والبراهين إلا ما كان خاضعاً لميزان العقل والمنطق، وهذه الفئة من الناس أفنت من حياتها سنوات من الدراسة والبحث حتى وصلت إلى هذه القنوات التي شكلت شخصياتهم، ورتبت عقولهم وطريقة تفكيرهم على هذا النحو، وهم بكل تأكيد الفئة القليلة؛ لأن الناس ليسوا كلهم بهذا الاستعداد والمزاج الذي يسمح لهم بسلوك هذا الطريق، فالسواد الأعظم منهم منصرف إلى العمل، وطلب القوت وتحصيل كفايته وكفاية عياله من الرزق في زراعة، أو صناعة، أو الاحتراف في أي مجال من مجالات الحياة، فالفئة الأولى ميّالة إلى تحصيل المعرفة عن طريق الدليل والبرهان، ولعل هؤلاء هم من أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ بدعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾^(١).

ب- فئة تتبنى فكراً معيناً أو مذهباً خاصاً، فلا ترى الخير إلا فيه، ولا ترى السعادة، أو النجاة إلا عن طريقه، فترى المناظر منهم يجادل من أجل مذهبه، ويستقتل في سبيل نصرته، ويتعصب له أيما تعصب، إلى حد أن ينكر أو يضح الواضحات، ولا يسلم بأبسط المسلمات، ويكابر ويعاند حتى مع قيام الدليل على بطلان ما يذهب إليه، يقول تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.



يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

وهؤلاء وإن كانوا يشكلون فئة أكبر من الفئة الأولى، إلا أنهم لا يمثلون أكثرية الناس، وهؤلاء هم الذين أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نجادلهم ولكن بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢).

ج- وهي الفئة الأكبر، والسواد الأعظم من الناس، وهؤلاء لا يخاطبون بها يخاطب به أصحاب التفكير العلمي، ولا هم من الفئة الثانية التي نتبع معها طرق الجدل والإفحام والإلزام، بل إن الفطرة هي السبيل إليهم، وتحريك دفائن نفوسهم الميالة إلى الحق هي الوسيلة الناجعة في هدايتهم، والأسلوب الخطابي في الإقناع هو النافع هنا. (٣)

أساليب المناظرة والجدل في القرآن الكريم

ولما كانت مستويات الفهم والإدراك متفاوتة عند الناس - كما بينا - فلا بد لمن يريد مخاطبتهم وهدايتهم أن يتحدث إليهم بمستويات مختلفة من الخطاب، لتحقيق الفائدة المرجوة، وهي وصوله إلى جميع الناس، وليس إلى فئة دون أخرى، لذلك جاء القرآن الكريم ككتاب هداية وإصلاح بأساليب مختلفة، وطرق متنوعة قد تكون من الطرق التي يعرفها الناس ويألفونها، أو من الطرق والأساليب التي تميز بها القرآن الكريم وتفوق بها على أسلوب الاستدلال البشري، وهذه بعضها:

أ- أسلوب السبر والتقسيم:

من أساليب المناظرة والجدل التي ذكرت للقرآن الكريم هي طريقة السبر والتقسيم، (والسبر في اللغة هو الامتحان، وتقريره: أن يحصر الأوصاف التي توجد في واقعة الحكم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٣) ينظر، المعجزة الكبرى القرآن، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ٣٩٣-٣٩٤، الناشر، دار الفكر العربي. وتأريخ الجدل، ٦٠-٦١.



• **التصنيف** إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم / أ.م.د. حميد جاسم عبود عباس الغرابي

وتصلح لأن تكون العلة واحداً منها، ويختبرها وصفاً بعد وصف على ضوء الشروط الواجب توفرها في العلة، وأنواع الاعتبار الذي تعتبر به، وبواسطة هذا الاختبار تستبعد الأوصاف التي لا يصح أن تكون علة، ويُستبقى ما يصح أن تكون علة، وبهذا الاستبعاد وهذا الاستبقاء يتوصل إلى الحكم بأن هذا الوصف هو العلة.^(١)

أما التقسيم أو القسمة فهي - كما ذكر في علم المنطق - نوعان:

١- أن تكون القسمة دائرة بين النفي والإثبات، وهي المعبر عنها بـ (القسمة الثنائية)، بمعنى أن تكون القسمة حاصرةً للنقيضين (نفيًا وإثباتًا)^(٢)، وهذه الطريقة في التقسيم تفيد اليقين؛ لأنها تحصر العلة في أمرين متناقضين، فإذا صدق طرف الإثبات بطل طرف النفي، والعكس صحيح، فإذا قلنا (العالم إما فقيه أو لا) نكون قد حصرنا عنوان العالم بأمرين لا ثالث لهما.

٢- أو تكون القسمة استقرائية: وهي (التي لا يمنع العقل من فرض آخر، وإنما تذكر الأقسام الواقعة التي عُلِمَت بالاستقراء والتتبع...) ^(٣)، وهذه الطريقة في القسمة لا تفيد اليقين وإنما الظن ولو كان بدرجة كبيرة.

وذكر السيوطي إن هذا الأسلوب من الجدل ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

(١) موسوعة طبقات الفقهاء (المقدمة)، الشيخ. جعفر بن محمد بن محمد بن حسين السبحاني التبريزي، الناشر، مؤسسة الإمام الصادق، قم - إيران، (١٤١٨هـ)، ط ١، ١/٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) ينظر، المنطق، ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ١٠٧.



القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

فعندما حرّم الكفّار ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى، احتجّ عليهم الله سبحانه و تعالى في القرآن الكريم، مطالباً إياهم بذكر علة هذا التحريم، فأما أن تكون علته من جهة الذكورة فهم يخلّونها مرّةً ويحرمونها أخرى، أو أن تكون العلة من جهة الأنوثة والإشكال نفسه لم يتغير، أو أن يكون سبب التحريم ما اشتملت عليه أرحام الأنعام لكليهما، أو أن العلة غير مدركة، وإنّ التحريم جاء تعبدًا بدليل عن الله سبحانه و تعالى عبر الوحي، أو الرسول، أو التكليم^(٢).

فالآيات الشريفة حصرت وجوه التحريم المحتملة، وكلّها لا تستند إلى دليل، وعليه فهي باطلة، والإبطال كما نرى جاء عن طريق إحصاء الفروض المحتملة وإسقاطها جميعًا عن الاعتبار واحدًا بعد الآخر^(٣).

ب- أسلوب الاستفهام التقريري:

وهو أسلوب جلي حجاجي ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وصيغته أن يأتي الاستفهام لأخذ الإقرار والاعتراف من المخاطب بالنفي أو الإثبات، وتستند هذه الصيغة في المناظرة والجدل إلى مقدمات واضحة وجليّة لا يمكن جحدها أو إنكارها، ولما كان القرآن الكريم في استدلالاته لا يريد إلّا الإقناع بالحق والهداية والإرشاد، عدّت هذه الطريقة من أفضل الطرق والأساليب في الجدل القرآني^(٤)، ومن أمثلته التي جاءت في

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٤٢ - ١٤٤.

(٢) ينظر، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٤ / ١٣٧ - ١٣٨. والجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، الناشر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر = والتوزيع، بيروت - لبنان، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ط ١، ٩ / ٧٩ - ٨٠. والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤ / ١٩٦ - ١٩٨.

(٣) ينظر، الإتقان في علوم القرآن، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بجلال الدين السيوطي المصري الشافعي (ت ٩١١هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ٤ / ٥٥.

(٤) ينظر، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ٧٦.



القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾^(١).

أي: إن الله سبحانه و تعالى أثبت و قرّر الشرح في صدر النبي ﷺ؛ ليُقرّر بذلك ويشكر الله سبحانه و تعالى على هذه النعمة، وقوله تعالى على لسان فرعون عند مجادلته لموسى ﷺ: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُنزِّبْكَ فِيْنَا وَلِيْدًا وَلَبِثْتَ فِيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِيْنَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ ﴾^(٢).

ففرعون أراد أخذ الإقرار من موسى ﷺ حتى يكون مذنباً مداناً عندهم؛ لأنه كان ربيهم، فكيف يفعل فعلته وهو منهم؟! إلا أن يكون قد انقلب عليهم، وهذا كافٍ ليكون دليل إدانة له، وقوله تعالى على لسان عبدة الأصنام من قوم إبراهيم ﷺ: ﴿ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهِنَا يَا إِبْرَاهِيْمُ ﴾^(٣).

فاستفهامهم كان لغرض أخذ الإقرار من إبراهيم ﷺ وإدانته وإيقاع العقوبة عليه، إلا أن إبراهيم ﷺ اغتنم الفرصة، وحوّل الجواب إلى طريق آخر أدانهم به، وأظهر سفه عقولهم فيما يعبدون.

ج- أسلوب القياس المضمر:

يستعمل الناس في محاوراتهم الأقيسة المنطقية التي تتألف من مقدمات ونتيجة، وهم في أغلب الأحيان غير ملتفتين إلى ذلك، فهم منطقيون من دون التفات، ومع كونهم منطقيين بالفطرة فقد لا يلتزمون بالترتيب الصوري للقياس المنطقي، بحذف مقدمة من المقدمات، أو حذف النتيجة، ويبقى الكلام سليماً ومستقيماً، والسامع يفهم مراد المتكلم، فالحذف جاء بسبب وضوح الكلام، أو بالاعتماد على فهم السامع وذكائه الذي من خلاله يستطيع ربط المقدمات بالنتيجة ولو لم تذكر، أو إنَّ المتكلم يقدّم النتيجة قبل ذكر المقدمات، فالقياس الذي نحذف منه إحدى مقدماته، أو النتيجة يسمى بـ(القياس المضمر)^(٤).

(١) سورة الشرح، الآية : ١ .

(٢) سورة الشعراء، الآيات (١٨ - ١٩) .

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٦٢) .

(٤) ينظر، المنطق، ٢٤٤ .



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

وهذا المعنى بعينه ورد في القرآن الكريم، فمعنى القياس الإضماري فيه: هو أن تأتي الآية الشريفة بدليل حُذِفَتْ إحدى مقدماته أو بعضها، مع وجود ما يُنبئ ويشير إلى هذا الحذف، (فهو محذوف، معلوم، مطوي في الكلام، منويٌّ فيه، وهذا الحذف يكثر في الاستدلال الخطابي) (١).

والقرآن الكريم حافلٌ بهذه الأقيسة التي حُذِفَتْ فيها بعض المقدمات، قال تعالى:

﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢)

فالآية الشريفة استبطنت مقدمة محذوفة وهي: إذا كان خلق عيسى عليه السلام بطريق الإعجاز جعله مبرراً ليتخذ النصارى إلهًا، فآدم عليه السلام أولى منه ليكون إلهًا؛ لأنه خلق من غير أبٍ ولا أم، والنصارى لم يدعوا ألوهية آدم عليه السلام، إذن فعيسى ليس بإله من باب الأولى، فالمقايضة بين آدم وعيسى عليه السلام، والإضمار في أولوية ألوهية آدم عليه السلام وتقدمها على ألوهية عيسى عليه السلام بحسب مدعاهم (٣)، وهذا الأسلوب في الخطاب - كما هو واضح - يكسب الكلام جمالاً ورونقاً مضافاً إلى جمال الدليل وإحكامه، وقوة سبكه بعبارة غاية في الدقة والإيجاز (٤)، يقول الشيخ أبو زهرة: (وإنَّ الحذف قد صيرَّ في الكلام طلاوة، وكسبه رونقاً، وجعل الجملة مثلاً مأثورًا يعطي الكلام حجَّةً في الردِّ على النصارى، ويذكر الجميع بأنَّ آدم والناس جميعاً

(١) المعجزة الكبرى، ٣٩٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٣) ينظر، المعجزة الكبرى، ٣٩٨. ومناهج الجدل في القرآن الكريم، ٧٦-٧٧.

(٤) ذُكرت عدة أسباب وأغراض لحذف القضية الكبرى في الأسلوب الخطابي غير الإيجاز والاختصار منها،

- أن القضية الكلية قد لا تصدق على جميع أفرادها، ولذلك يلجئ الخطيب إلى إخفائها في الكلام وعدم ذكرها خشية التفات أحد السامعين إلى كذبها.

- تجنب السرد العلمي المعقد الذي يجده البعض مملاً، فجمهور السامعين ميالٌ إلى الطرح البسيط الواضح والممتع، والصياغات العلمية التي تذكر القضايا الكلية والجزئية وتربط بينها ربطاً علمياً بإدخال الجزئية تحت حكم الكلية، وهذا أسلوب يصرِّف السامعين عن الاهتمام بحديث الخطيب، بل قد يثير شكوكهم نحوه أو السخرية منه.

- وقد يلجئ الخطيب إلى حذف الكبرى خشية التطويل الممل المستغني عن سماعه جمهور السامعين، الذي قد يثير ردود أفعال عكسية تجاه الخطيب تؤثر على مصداقيته. ينظر، المنطق، ٣٦٧-٣٦٨.



ينتهبون إليه، وإنما خلق من تراب، فلا عزة إلا لله تعالى^(١).

د- أسلوب الاستدلال بكذب النقيض أو صدقه:

من القواعد العقلية والمنطقية التي يدعن العقل بصدقها، إنَّ كُلَّ أمرين متناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، إذا تحققت فيهما شروط التناقض، وهذا أمرٌ يُدركُ ببداهة العقل^(٢)، والاستدلال بكذب النقيض ، أو صدقه والمسمى أيضًا بـ(قياس الخلف) من الاستدلالات التي جاءت في القرآن الكريم، واستعملت في مناظرة ومجادلة المشركين وغيرهم، فصورته في الحجاج مع المشركين مثلًا أن تعمد الآية الشريفة إلى إبطال عبادة الشرك فيثبت نقيضها، وهي التوحيد، فالعبادة للإله لا تخلو من أحد أمرين: إمَّا أن يكون الإله واحدًا أو متعددًا، وتعدد الآلهة لازمه فساد الخلق، واختلال نظام الكون، وحيث أن هذا الفساد لم يحصل وهو اللازم، والانتظام هو السائد، فيبطل الملزوم وهو التعدد، وببطلانه يثبت نقيضه وهو الإله الواحد، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣)

فالآية الكريمة أبطلت عبادة الشرك باستقامة الخلق وانضباطه وانتظامه، ولو كان في الكون خالق مع الله سبحانه وتعالى لفسد هذا النظام، وحيث أنه لم يفسد فيبطل وجود الشريك.

هـ - أسلوب الاستدلال بالمثال:

ومن صور الاستدلال القرآني في الجدل والمناظرة هو أسلوب الاستدلال بالتمثيل، وذلك بأن تكون الآية الشريفة مقياساً بين الأمر المدعى ، وأمرٍ آخر معروف ومُدْرَك عند المخاطب أو عند عامة الناس، إن كان من البديهيات التي لا تحتاج إلى نظر وفكر، فمعظم الناس ليست لهم القدرة على تصور بعض الأمور إلا عن طريق ربطها بصور أخرى تكون أكثر بساطة واستقراراً في النفوس والأذهان، وهذه الطريقة في الاستدلال وردت كثيراً في

(١) ينظر، المعجزة الكبرى، ٣٩٨.

(٢) ينظر، المصدر السابق، ٤٠ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية : ٢٢ .



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

القرآن الكريم، منها على سبيل المثال آيات البعث بعد الموت، فالكافرون استبعدوا أمر بعث الأنسان مرةً أخرى بعد أن عُيِّبَ بالموت، وتحلل جسده واضمحل، فجاءت الآيات الشريفة تُبَيِّنُ أَنَّ أمر البعث ليس بأعجب من خلقكم أيها الناس، وذكرت الآيات أطوار تكوّن الإنسان، وتقلبه في الخلق من حالٍ إلى حال، فمن كانت هذه قدرته في بدئ الخلق فهو على الإعادة أقدر، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَرِيحٌ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۗ ﴿٧﴾، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (ونرى من هذا عقد المشابهة بين ابتداء الخلق، وإعادته التي لخصها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ...﴾، وإن هذا النسق البياني قرب فيه البعيد، وسهّل على الأفهام دخوله، والله على كل شيء قدير) (١).

و- أسلوب الاستدلال بالقصص القرآني:

أخذت القصة في القرآن الكريم مكانةً متميزةً في ترسيخ أصول العقائد والأحكام، لما حوته من أدلة وبراهين جاءت على لسان الأنبياء والصالحين، فهي تمثل مصدرًا موثوقًا من مصادر الاستدلال، ولها تأثير كبير في نفوس الناس حتى من غير المسلمين، وكيف لا يكون ذلك، ونحن نرى إن أبطالها وشخصياتها هم أناس لهم مكانتهم وقيمتهم المحترمة والمقدّرة، فإذا جاء الدليل عن طريقهم فإنهم يكسبونه قوةً مضافةً إلى قوته الذاتية كدليل، (فتكون الحجّة قد أقيمت عليهم من جهتين، من جهة الدليل في ذاته، ومن جهة أنّ الذي قاله رجل محترم في نظرهم، يدعونهم أن يمتدحوا، فهم ملزمون بقوله، مأخوذون برأيه) (٢)، ولندكر

(١) سورة الحج، الآيات: ٥-٧.

(٢) المعجزة الكبرى، ٤٠٥.

(٣) تأريخ الجدل، ٦٦.



• المصباح إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم / أ.م.د. حميد جاسم عبود عباس الغرابي

لذلك مجادلةً من القرآن الكريم صوّرت إلزام الكافرين من النصارى، وإبطال دعواهم في اتخاذهم عيسى عليه السلام مع الله سبحانه وتعالى وكيف أنّ عيسى عليه السلام تبرئ من شركهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَلَمْ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهَيْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٣٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٣٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٨﴾﴾ (١).

فتبرؤ عيسى عليه السلام أبلغ دليل للنصارى على بطلان دعواهم؛ لأنّ البطلان صدر من شخص يقدرونه ويجلونه.

أو أنّ يأتي الدليل عن إبراهيم عليه السلام الذي تقدّره العرب وتجلّه، وينسب إليه قسم كبير منهم، فدليل إبراهيم عليه السلام إضافةً إلى قوّته الذاتية كدليل، فإنّه صادر عن شخص يقرُّ بفضلته المخالفون، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (أنظر إلى قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وقصته مع قومه، ترى في القصتين أدلّة واضحة وقويّة تثبت بطلان عبادة الأوثان؛ وذلك لأنّ إبراهيم عليه السلام كان شرف العرب، ومحتدّهم الذي إليه ينتسبون، وقد كانوا يزعمون أنّهم على ملّته، فإذا جاءهم الخبر عنه بأنّه كان موحدًا، وسبق لهم ما كان يحتج به على قومه وأبيه، كان ذلك مؤثرًا أيّ تأثير في قلوبهم! ومن ذلك قوله تعالى حاكياً قول إبراهيم لأبيه ليبيّن له بطلان عبادة الأوثان: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِنَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ (٢).

ألا ترى أنّ الكلام متضمن إبطال عبادة الأوثان على أبلغ وجه، إذ بيّن أنّها لا تسمع ولا تبصر فهي دون الإنسان، وكيف يعبد الإنسان ما دونه؛ وفوق ذلك فالعبادة دعاء، وكيف

(١) سورة المائدة، الآيات: ١١٦-١١٨.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٤١-٤٣.



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

يدعو الإنسان ما لا يسمع ولا يبصر^(١).

وقد ذُكِرَ للجدل القرآني أساليب أخرى غير التي ذكرناها منها: مطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدَّعاه، أو القول بالموجب، أو مجارة الخصم لتبيين عثرته، أو الاستدلال بالأثر على وجود المؤثر... الخ^(٢)

المطلب الثاني

مناظرات وجدل رسول الله ﷺ في القرآن الكريم

أولاً : مناظراته ومجادلاته ﷺ مع مشركي قريش والعرب:

كانت للعرب في الجاهلية عادات وتقاليد، منها الجيد الذي أقره الإسلام، ومنها السيء الذي رفضه ودعا لتغييره، وكان لهذه العادات وبالخصوص السيئة منها تأثير كبير في نفوسهم إلى درجة لا يمكن مخالفتها أو التفاوضي عنها؛ لأنَّها استحكمت في نفوسهم وأصبحت عسيرة وعصية على التبديل والتغيير، ويصوّر لنا القرآن الكريم مدى تأثير هذه الأعراف والعادات في نفوس العرب لدرجة تجعله يقف حائراً بين مجارة الأعراف والعمل وفقاً لما تمليه عليه، أو حمل عار المخالفة والتعاشي مع حالة الانكسار النفسي التي تجرّها عليه هذه المخالفة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾^(٣).

ولنا أن نتصور حياة الناس في تلك الفترة عن طريق كلام جعفر بن أبي طالب عليه السلام أمام النجاشي إذ يقول: (أيها الملك كُنَّا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسِيء الجوار، ويأكل القوي منّا الضعيف...)^(٤)، وهذا

(١) تأريخ الجدل، ٦٥ . والمعجزة الكبرى، ٣٩٩.

(٢) ينظر، منهاج الجدل في القرآن الكريم، ٨٠-٨٧.

(٣) سورة النحل، الآيات: ٥٨-٥٩.

(٤) الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير) (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق، أبو الفداء عبد الله القاضي، الناشر، دار الكتب



الكلام من جعفر عليه السلام يوضح حجم الخلاف الفكري بين المشركين ورسول الله صلى الله عليه وآله وما جاء به من تعاليم سماوية تردد صداها إلى ما بعد حدود الجزيرة العربية، كما رأينا من حوار ملك الحبشة مع جعفر عليه السلام، ويكون هذا الأمر مثاراً للجدل وشاغلاً لأذهان العرب، وأصبحت الجزيرة العربية لا تتحدث إلا به، ولا تتجادل إلا فيه ومعه صلى الله عليه وآله، وصار الناس بين حالين: أ- حال يجرهم إلى البقاء على ما ألفوه من عاداتهم وتقاليدهم، وأنسٍ بقديم لا يقدر على هجره، فأصبحوا للدعوة منكرين، وللنبي صلى الله عليه وآله مجادلين.

ب- وحال يرى إنَّ ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله هو الحق الذي لا شك فيه، فهو مختار مضطرب بين القديم المألوف والجديد الواضح المعروف.^(١)

ولم تبدأ المخاصمة لرسول الله صلى الله عليه وآله ومناظرته ومجادلته من قبل المشركين من أول الدعوة الإسلامية، إذ إنَّهم لم يتعرضوا له صلى الله عليه وآله، وكانت ردّة فعلهم تجاهه أول الأمر هي الإعراض والنفور، ومع ذلك فالعداوة لم تقع حتى بادئهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالمناقشة والحوار عندما ذكر آهتهم، وأثبت بطلان دينهم واعتقادهم بها، ومن هنا كانت بداية إقبالهم على الجدل والمناظرة، إلا أنَّهم كانوا أعجز من أن يجادلوا رسول الله صلى الله عليه وآله، ويدفعوا حجّته أو يفندوا أدلته، فلم يكن لهم من سلاح سوى الاستهزاء به صلى الله عليه وآله وبدينه، وإغراء السفهاء به، واضطهاده وعزله هو وأهله ومقاطعتهم، ومن ثم تخويفه وطرده ومحاربتة.^(٢)

ثانياً: مناظرته وجدله صلى الله عليه وآله لأهل الكتاب:

لم يكن بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل الكتاب من اليهود والنصارى في مكة جدل وخصام، وإنَّما كانت بداية جدله ومناظراته معهم في المدينة المنورة، بحكم إنَّهم من ساكنيها،

العلمية، بيروت- لبنان، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، ط ١، ١ / ٥٩٩. وورد كذلك بلفظ قريب في إعلام الوري بأعلام الهدى، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، صححه وعلّق عليه، علي أكبر غفاري، الناشر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م)، ط ١، ٦٠.

(١) ينظر، تاريخ الجدل، ٤١-٤٢.

(٢) تاريخ الجدل، ٤٣.



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

والمجاورين للمسلمين فيها، ولما كانوا أهل كتاب ودين سماوي كانت دعوتهم إلى الدين الجديد وتصديقهم بما جاءهم به رسول الله ﷺ أولى من غيرهم؛ لأنهم أعرف من غيرهم بخبر السماء والخالق وأسماؤه وصفاته جل جلاله، والكون والملائكة والكتب والأنبياء السابقين وصفاتهم وأسماؤهم وكيفية إرسالهم، وقد كانوا من قبل يبشرون بنبي يأتي في آخر الزمان، يعرفون اسمه ورسمه ودار بعثته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١) (٢).

يقول الشيخ الطبرسي في تفسيره لهذه الآية: (يجدون نعتة وصفته ونبوته مكتوبًا في الكتابين) (٣)، أي: العهد القديم والجديد، فقد جاء في العهد القديم بشارة بنبي آخر الزمان، وبالتحديد في سفر التثنية وردت هذه العبارة (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمكم بكل ما أوصيه به) (٤)، ووردت كذلك في سفر التكوين هذه البشارة: (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، وها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمةً كبيرةً). (٥)

إلا أنهم وعلى العكس من ذلك، رفضوه وناصروه العداة وجادلوه وناظروه لإبطال نبوته ﷺ، ولعل دافعهم إلى هذا الجدل والمرء عدّة أسباب منها:

أ- اعتقاد اليهود بأن النبوة لا تخرج عن أبناء إسرائيل، بل إنَّ ظهور نبي لا ينتمي لبني إسرائيل، ويدعو الناس إلى الله جل جلاله وتوحيده وتمجيد إبراهيم وموسى (عليهما السلام) مستغرب.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) ينظر، المصدر نفسه، ٤٨.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، ٤/ ٢٧٥.

(٤) الكتاب المقدس (العهد القديم)، ٢٣١، سفر التثنية- الإصحاح، ١٨، العدد ١٨، الناشر، دار

الكتاب المقدس، القاهرة- مصر، (٢٠١٧م)، الإصدار العاشر- ط(١).

(٥) المصدر نفسه، ١٧، سفر التكوين، الإصحاح ١٧، العدد ٢٠.



• المصنَّب إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم / أ.م.د. حميد جاسم عبود عباس الغرابي

ب- غرورهم وتكبرهم واعتقادهم علو منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى ، وتفوقهم على باقي البشر، إلى حد تخيلهم وتوهمهم أنهم أبناء الله سبحانه وتعالى وأحبّاءه، وقد أشار القرآن الكريم إلى كذبهم بقوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾^(١).

ج- إن أتباعه ﷺ كانوا من الذين بينهم وبين اليهود عداوة في الجاهلية، لذلك أضمرنا عداوتهم للمسلمين ولرسول الله ﷺ.^(٢)

وكانت موضوعات الجدل والمناظرة مع اليهود تدور حول مسائل محددة منها:

أ- تحريفهم للتوراة التي كتبوها بأيديهم ونسبوا لله سبحانه وتعالى طمعاً بالحصول على حطام الدنيا، وقد توعدهم الله سبحانه وتعالى بالويل والعذاب، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾^(٣).

ب- نقضهم لليهود وخياناتهم، وتلاعبهم بأحكام الله سبحانه وتعالى التي جاء بها الأنبياء ﷺ وهجرها أو التعامل معها بانتقائية حسب ما تمليه عليهم مصالحهم الدنيوية، كما كانوا يفعلون في مسألة فداء الأسرى، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^{(٤)(٥)}.

(١) سورة المائدة، الآية : ١٨ .

(٢) ينظر، تأريخ الجدل، ٤٩ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٧٩ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ٨٥ .

(٥) ينظر، التبيان في تفسير القرآن، /١ - ٣٣٥ - ٣٣٧ . ومواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الناشر، دار التفسير، قم- إيران، (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، ط ٥، / ١، ٤٣٧ ٤٣٩ .



المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

ج- هجرهم لكتاب الله سبحانه و تعالى وانقيادهم لأحبارهم الذين كانوا يعبثون بعقولهم بالتزوير والتزييف، ولا يعلمونهم الأحكام التي نزلت في كتاب الله سبحانه و تعالى ، قال تعالى متوعداً إياهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾^(١).

د- أكلهم المال بالباطل، وأخذهم الربا مع تحريمه عليهم، واستحلالهم مال العرب بزعم أن لا سبيل لهم على أهل الكتاب، قال تعالى:

﴿ ... وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

هـ - تعصبهم لدينهم، وعدم الإيمان إلا لمن كان منهم، ولو لم يكن الحق معهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا إِلَّا مَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ ... ﴾^(٣).

و- حرصهم الشديد على الدنيا، أيًا كانت هذه الدنيا ولو كانت دنيا الأسافل، والسعي وراء ملذاتهم وشهواتهم، مع أن أهل الدين ليس هذا دأبهم، بل هم الى رحمة الله سبحانه و تعالى ينظرون، وإلى ما عنده يرجون، قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَّزِحٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤).

هذه بعض صفات اليهود وأفعالهم التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، بعد أن كانت خافية على الناس، والتي ولدت في نفوسهم الحقد والكره للقرآن الكريم ولرسول الله ﷺ، فشكلت دافعاً لهم للمهاترة والللجاج، والخوض في المناظرة والللجاج.^(٥)

وأما النصرارى فليس أدل على معرفتهم بهذا النبي من موقف النجاشي عندما جاءه

(١) سورة البقرة، الآية : ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٧٥ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٧٣ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ٩٦ .

(٥) ينظر، تأريخ الجدل، ٤٩ - ٥١ .



• **التصنيف** إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم / أ.م.د. حميد جاسم عبود عباس الغراي

كتاب رسول الله ﷺ ، إذ (أخذ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه، ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعًا، ثم أسلم وشهد شهادة الحق)^(١)، وكلام (قيصر) ملك الروم عندما جاءه دحية الكلبي بكتاب النبي ﷺ فقال: (يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت لكم ملككم، وتتبعون ما قال عيسى بن مريم ...).^(٢)

وبالنسبة إلى جدلهم ومناظراتهم فقد كانت أقل حدة، ولم تكن من الكثرة بحيث تذكرها كتب التاريخ بشكل مُفصّل، وسبب ذلك: إنَّ النصارى لم يكن لهم قرب مكاني بدعوة الإسلام في بدايتها، لا في مكة ولا في المدينة، لذلك فإنَّ اتصاهم بالمسلمين والاحتكاك بهم لم يكن كبيرًا، وحيث لا احتكاك فلا خلاف ولا جدال ولا مناظرة إلا فيما ندر.

ومع ندرة المناظرات وقتها إلا أنَّ أبرز الموضوعات التي تناولتها هي:

أ- عقيدة التثليث، فالنصارى يعتقدون بألوهية عيسى عليه السلام وروح القدس واشتراكها مع الله سبحانه وتعالى في هذا المقام، وقد توعدهم الله سبحانه وتعالى لجرأتهم هذه بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

ب- ادّعاءهم أنَّ المسيح وأمه السيدة مريم، وقد أكَّد عيسى عليه السلام بطلان ادّعاءهم وكذبهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٤).

ج- قولهم إنَّ الله سبحانه وتعالى هو المسيح نفسه، وهذه فريضة استعظمها القرآن الكريم إلى حد أن وصمهم بالكفر بسببها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ

(١) كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق، د. علي محمد عمر، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م)، ط ١، ١ / ٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ١ / ٢٢٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦.



• المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾.

كما إنَّ عيسى عليه السلام فند ادعائهم بقوله إنَّ الله سبحانه وتعالى ربُّه كما هو ربُّهم، وحذرهم من مغبة هذا القول، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢﴾.

د- دعوى إنَّ المسيح ابن الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى: ﴿... وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾ (٣).

هـ - وكذلك من المواضيع التي وقع البحث فيها مع النصاري دعوى صلب المسيح، التي نفاها القرآن الكريم وكذبها، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿٤﴾.

والواقع إنَّ اعتراضاتهم وإشكالاتهم على الإسلام لم تكن كبيرة أو كثيرة، ولم تستطع الصمود أمام الدليل والحجة، سواء جاءت هذه الحجة والدليل في القرآن الكريم، أو على شكل مناظرات لرسول الله ﷺ وعلما الإسلام، لضعف أدلتهم ووهنها، وقوة حجة الإسلام وبراهينه التي لم تستطع المعتقدات النصرانية أن تصمد أمامها (٥).

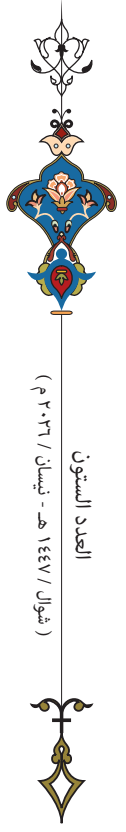
(١) سورة المائدة، الآية : ١٧ .

(٢) سورة المائدة، الآية : ٧٢ .

(٣) سورة التوبة، الآية : ٣٠ .

(٤) سورة النساء، الآية : ١٥٧ .

(٥) ينظر، تاريخ الجدل، ٥٣ .



الخاتمة

الإنسان كائن جدلي بالفطرة، وهذه النزعة الجدلية عنده جعلته لا يقبل من الأفكار إلا ما كان مستنداً إلى الدليل والحجة والبرهان، ولأنَّ القرآن الكريم يهدف إلى هداية الناس وإرشادهم، فقد أخذ بأساليب مختلفة في الحوار والجدل مع خصومه، كلُّ بحسب إدراكه ومستوى فهمه وسعة اطلاعه؛ لذا نجد أنَّ القرآن الكريم أتبع أساليب كثيرة وطرق متعددة للحجاج والجدل والمناظرة، فنراه مثلاً في بعض استدلالاته وجداله مع الخصوم يأخذ طريق حصر الفروض المتصورة عند الخصم والتي يستند إليها في اعتقاده ويسقطها الواحد تلو الآخر.

أو أن تطرح الآيات الشريفة عدَّة تساؤلات عن قضايا مسلَّمة لا يستطيع الخصم إنكارها؛ لبديهيَّتها أو شهرتها لدرجة أنَّ الخصم لا يستطيع إنكارها، فيثبت المطلوب من خلال إقرار الخصم وتسليمه.

أو أن يثبت القرآن الكريم أصلاً من الأصول عن طريق إبطال نقيضه، بالاستناد إلى قانون عقلي ومنطقي وهو استحالة اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما.

أو أن يعمد القرآن الكريم إلى إثبات مسألة عبر قياس المماثلة، وذلك بربط أمرين متماثلين بنتيجة واحدة، فما يثبت للأول فلا بدَّ وأن يثبت للآخر لأنهما متماثلات، ونتيجة المماثلة هو انسحاب حكم الأول للثاني.

أو بالاستعانة بالقصص القرآني، فأبطال القصة في القرآن الكريم شخصيات محترمة ومقدرة عند الخصوم، والدليل الذي يأتي من جهتهم هو دليل مقدر ومحترم، نظراً للمقبولية والمكانة التي يتمتع بها أبطال هذه القصص بين اتباعهم ومريديهم.

وهكذا فإننا نجد أنَّ القرآن الكريم أخذ بأكثر من أسلوب وطريق في الحجاج والجدل، وهذا التعدد في الأسلوب أكسب القرآن الكريم مرونة كبيرة في التعاطي مع مختلف التيارات والاتجاهات الفكرية، وجعله قادراً على التنقل بين أشكال الاستدلالات وطرقه، بحسب حال المجادل ومستواه الفكري والمعرفي.



المصادر والمراجع

١. الإتيقان في علوم القرآن، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بجلال الدين السيوطي المصري الشافعي (ت ٩١١هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
٢. الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس)، تحقيق، الشيخ. إبراهيم البهادري والشيخ. محمد هادي به، إشراف، الشيخ. جعفر السبحاني، الناشر، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم- إيران، (١٤٣٥هـ)، ط(٨).
٣. الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد الأمدي (ت ٦٣١هـ)، تعليق، الشيخ. عبد الرزاق عفيفي، الناشر، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، ط(١).
٤. آداب البحث والمناظرة، الشيخ. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق، سعود بن عبد العزيز العريفي، إشراف، بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
٥. إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق، أيمن عبد الرزاق الشوّاء، الناشر، دار الفكر، دمشق- سوريا، (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)، ط(١).
٦. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨/٣٢٩هـ)، ضبطه وصحّحه وعلّق عليه، محمد جعفر شمس الدين، الناشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، ط(٢).
٧. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين



والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، الناشر، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، (٢٠٠٢م)، ط (١٥).

٨. إعلام الوري بأعلام الهدى، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، صححه وعلّق عليه، علي أكبر غفاري، الناشر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، ط (١).

٩. ألكامل في التأريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بـ (ابن الأثير) (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق، أبو الفداء عبد الله القاضي، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ط (١).

١٠. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ط ١.

١١. تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق وضبط وتعليق، د. بشار عواد معروف، الناشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ط (١).

١٢. تأريخ التشريع الإسلامي، الشيخ. محمد الخضري، تعليق وتخرّيج، محمد حسين عبد الرحمن، مراجعة وتقديم، الدكتور أيمن فؤاد سيد، الناشر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ط (١).

١٣. تأريخ الجدل، الشيخ. محمد أبو زهرة (ت ١٩٧٤م)، الناشر، دار الفكر العربي، ط (١).

١٤. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق، أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.



المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

١٥. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ)، الناشر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤٠١هـ- ١٩٨١م)، ط(١).
١٦. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، الناشر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، ط(١).
١٧. رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، عصام الدين أبي الخير أحمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبري زادة (ت ٩٦٨هـ)، تحقيق، حايف النبهان، الناشر، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الجهراء- الكويت، (١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م)، ط(١). (٢٠٠٤م).
١٨. رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر، دار المعارف الإسلامية، (١٩٩٨م)، ط(٢).
١٩. سلسلة علم المنطق (النص الكامل لمنطق أرسطو)، تحقيق وتقديم، فريد جبر، مراجعة، د. جيران جهامي و د. رفيق العجم، الناشر، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٩٩٩م)، ط(١).
٢٠. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق وتخرّيج وتعليق، شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الناشر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، ط(١).



٢١. شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣هـ)، تحقيق، د. عبد الرحمن عميرة، الناشر، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، ط(٢).

٢٢. طريق إخوان الصفا (المدخل لدراسة الغنوصية الإسلامية)، فراس السوّاح، ص(١٥)، الناشر، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق- سوريا، (٢٠٠٨م)، ط(١).

٢٣. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ. عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، الناشر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م)، ط(١).

٢٤. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف، محمد نعيم العرقسوسي، الناشر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، ط(٨).

٢٥. كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق، د. علي محمد عمر، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م)، ط(١).

٢٦. الكتاب المقدس (العهد القديم)، الناشر، دار الكتاب المقدس، القاهرة- مصر، (٢٠١٧م)، الإصدار العاشر- ط(١).

٢٧. كفاية الأصول، الشيخ. محمد كاظم الخراساني، تحقيق ونشر، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت- لبنان، (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م)، ط(٤).



المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصباح

٢٨. لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبة بن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق، عبد الله علي الكبير وآخرون، الناشر، دار المعارف، القاهرة- مصر، (١٩٨٤م).

٢٩. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، الناشر، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، ط(١).

٣٠. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا. حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الناشر، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت- لبنان، (١٤١١هـ- ١٩٩١م)، ط(٣).

٣١. مصارع المصارع، لأبي جعفر نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق، ويلفرد مادلونغ، الناشر، مؤسسة مطالعات إسلامي، طهران- إيران، (١٣٨٣هـ).

٣٢. المعجزة الكبرى القرآن، الشيخ. محمد أبو زهرة، الناشر، دار الفكر العربي.

٣٣. معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي، الناشر، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤م.

٣٤. مغني الطلاب (شرح متن إيساغوجي)، أثير الدين الأبهري (ت ٦٦٣هـ)، تحقيق، محمود محمد توفيق رمضان البوطي، الناشر، دار الفكر، دمشق- سوريا، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، ط(١).

٣٥. مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق، محمد كمال الدين الأدهمي، الناشر، مؤسسة هنداوي، (٢٠٢٠م).



٣٦. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زادة (ت ٩٦٨هـ)، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ط(١).

٣٧. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط، محمد سيد كيلاني، الناشر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

٣٨. المنطق، الشيخ. محمد رضا المظفر ت(١٣٨٣هـ)، الناشر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ط(١).

٣٩. منية المرید في أدب المفيد والمستفيد، الشيخ. زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)، الناشر، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت - لبنان، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ط(١).

٤٠. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الناشر، دار التفسير، قم - إيران، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ط(٥).

٤١. موسوعة طبقات الفقهاء (المقدمة)، الشيخ. جعفر بن محمد بن حسين السبحاني التبريزي، الناشر، مؤسسة الإمام الصادق، قم - إيران، (١٤١٨هـ)، ط(١).

٤٢. الميزان في تفسير القرآن، السيد. محمد حسين الطباطبائي (ت ١٩٨١م)، الناشر، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران.

٤٣. نهاية الأفكار (تقرير أبحاث الشيخ آغا ضياء الدين العراقي)، الشيخ. محمد تقي البروجردي النجفي، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي ((التابعة لجماعة المدرسين))، قم - إيران، (١٤٣٨هـ)، ط(٧).



المناظرة والجدل القرآني دراسة قرآنية في الأساليب وطرق الاستدلال المصنّف

٤٤. نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) من كلام سيّدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شرحه، الشيخ محمد عبده، خرّج مصادره، الشيخ حسين الاعلمي، الناشر، شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م)، ط(٢).

٤٥. الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء علي بن عقيّل بن محمد بن عقيّل البغدادي الحنبلي (ت ٥١٣هـ)، تحقيق، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، ط(١).

